جامعة السلطان قابوس
مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية

Sultan Qaboos University
Journal of Arts & Social Sciences

«النص الغائب في شعر حبيب الزيودي»

عوني صبحي الفاعوري

أستاذ مشارك، مركز اللغات
الجامعة الأردنية
جامعة صحار، سلطنة عمان
AFaouri@soharuni.edu.om

تاريخ الاستلام: ٢٠١٣/٠٦/٢٦
تاريخ القبول للنشر: ٢٠١٤/٠٣/١٣

«النص الغائب في شعر حبيب الزيودي»

عوني صبحي الفاعوري

مستخلص

يتناول هذا البحث دراسة النص الغائب أو التناص في النتاج الشعري الكامل للشاعر الأردني حبيب الزيودي؛ إذ تعد هذه التقنية من التقنيات الحديثة في النقد العربي الحديث. وقد عكست نتائج البحث أن الشاعر الزيودي مطلع على النتاج الشعري والثقافي قبل الاسلام والنتاج الشعري والفكري على امتداد العصور العربية والاسلامية حتى العصر الحديث ، فضلا عن اطلاعه على الموروث الإنساني بصفة عامة، وقد استفاد الزيودي من هذه الثقافة الشمولية في توظيف كل ذلك في عالمه الشعري الفريد، مما جعل للشاعر مكانة متميزة على الساحة الشعرية العربية.

الكلمات الدالة: النص الغائب، شعر، حبيب الزيودي، شاعر أردني

Intertextuality in Habib Al Zayoudi's Poetry

Awni Subhi Al Faouri

Abstract

This research paper discusses intertextuality in Habib Al Zayoudi's poetry. Intertextuality is considered one of the recent techniques used in modern Arabic criticism. The study shows that the poet is fully aware of pre-Islamic poetic and cultural works. He is also fully aware of the poetic and intellectual output of the Arabs since early Arabic and Islamic times until today. The study also shows that the poet is also aware of the overall human legacy. The study found that Al Zayoudi invested his encyclopedic knowledge and utilized it in his unique poetic production, which earned him a prominent position on the scene of Arabic poetry.

Keywords: intertextuality, poetry, Habib Al Zayoudi

مقدمة

النص الغائب أو التناص ظاهرة أدبية حديثة ظهرت في الأدب الغربي، ثم انتقلت مع جملة من مفاهيم أدبية حديثة إلى الأدب العربي. ولكن هل النص الغائب أو التناص جديد على الآداب العربية؟ أظن أن مفهوم التناص موجود في الأدب العربي قبل ظهوره كمصطلح حديث في الآداب الغربية، إلا أن توظيفه في بنيته العميقة الذي أخذ أشكالا جديدة هو الجديد في هذا المفهوم، فلعل الاقتباس أو التضمين من النصوص الأخرى تناص في مفهومه الحديث، وقد استخدمه بعض الشعراء القدامى والمحدثين في مجمل إبداعاتهم، فهو اتكاء على نصوص قديمة بهدف تعميق الفكرة وتقوية الحجة وإبراز المراد منه، وفق سياقات تاريخية ذات دلالات عميقة. وقد كان حضور نصوص دينية مختلفة، وأقوال نثرية، وحوادث تاريخية مشهورة بارزة في النصوص التالية بهدف إضافة إضافات جديدة، أو كشف المستوى الثقافي للكتاب، أو زيادة التأثير على المتلقي من المراد نظمه، أو سرده بصورة جديدة تغني النص الجديد، وتعطيه حضورا عميقا.

ولذلك، فإن هذا التداخل يكشف فضاء واسعا، ويقدم رؤية عميقة، ويؤدي إلى وجود مرجعيات تثري النص الجديد، فيتعالق اللاحق بالسابق، وتشع النصوص القديمة والجديدة وهجاً جديداً، وتقدم رؤى متقدمة لسلطة النص الجديد. لقد جاءت البدايات الأولى لظاهرة التناص في الدراسات اللسانية، (داغر، ١٩٩٧، ص: ١٢٧)، فقد كان ميدانها الأول، ثم انتقل فيما بعد إلى الدراسات الأدبية الأخرى. وقد توسع مفهوم التناص في الأدب العربي الحديث، وأخذ تسميات جديدة تجاوزت الموروث في أدبنا العربي. فقد اطلق عليه محمد مفتاح التعالق النصي، إذ تتعالق النصوص مع نص حديث بكيفيات مختلفة، (مفتاح، ١٩٩٤، ص: ١٢١).

وقد توقف الدكتور محمد الزعبي طويلا عند تعريف التناص، مبيناً أنه تضمين نص أدبي ما نصوصاً أو أفكاراً أخرى سابقة عليه عن طريق الاقتباس أو التضمين أو الإشارة، وذلك من المقروء الثقافي لدى الأديب، بحيث تمتزج هذه النصوص أو الأفكار مع النص الأصلي و تندغم فيه، ويتشكل بذلك نص جديد متكامل بصورة جديدة (الزعبي، ٢٠٠٠، ص: ١١). وبالتالي فإن التناص يزيد من بلاغية المبدع، و يعمل على تكثيف فكرة ما في ذهنه بواسطة تدعيمها وتفعيلها بالمعاني العميقة، (الدروع، ٢٠٠٧، ص: ١٣٣).

فالتناص مصطلح أدبي جديد لظاهرة أدبية قديمة عرفها الأدب العربي منذ القدم، ولكنه أخذ آفاقا جديدة ورؤى تجاوزت الشكل لتصل إلى البنية العميقة للنص. وهو تقاطع وتداخل مع نصوص أخرى، (كريستيفيا، ١٩٩٢، ص: ٢١). ولذلك فقد أصبح الشعر ميدانًا خصبا لظاهرة التناص؛ إذ يستطيع الشاعر استدعاء نصوص شعرية أو أفكار محددة وتوظيفها في النص الجديد ليعطي مزيدا من الإقناع والجمال، فالتناص هو الوقوف على حقيقة التفاعل الواقع للنصوص في استعادتها أو محاكاتها لنصوص وأجزاء من نصوص سابقة لها، أو ما يسمى بالنص الغائب، (بنيس، ١٩٩٠، ص: ١٨٣-١٩٥).

أي أن التناص هو استدعاء نصوص سابقة بهدف التفاعل معها، وإعطاء كينونة جديدة تخدم النص المتشكل الجديد، كما يقول الغذامي إن النص يتشرب نصا آخر، ويجري تحويله لخدمة الأديب في نصه الجديد، (الغذامي، ١٩٨٥، ص: ٢٣).

هذه لمحة سريعة وموجزة عن مفهوم التناص. وسوف يدرس هذا البحث ملامح ظاهرة التناص في شعر حبيب الزيودي، وكيف انعكس استخدام التناص على الارتفاع بمستوى الدفقة الشعرية عند الشاعر من خلال الولوج في الثقافة الإنسانية بعامة، والثقافة العربية والإسلامية بخاصة.

ولذلك فقد استخدم مفهوم النص الغائب أو التعالق أو تقاطع النصوص أو التناص باعتبارها أسماء مختلفة لمفهوم واحد، وإن كان أشيعها استخداما التناص والنص الغائب.

التناص في شعر حبيب الزيودي

سأتناول في هذا البحث التناص الديني بكل عناصره، والتناص الأدبي والتناص التاريخي، وحضور هذا المفهوم الأدبي في شعر حبيب الزيودي، الذي يزهر شعره به نظرا لسعة ثقافة الشاعر وخلفيته العلمية العالية، وإيمانه بالثقافة العربية والإسلامية اللتين تشكلان موئلا له في إبداعاته الشعرية والنثرية على حد سواء.

لجأ كثير من الشعراء منذ القدم إلى استخدام التناص القرآني في أشعارهم بهدف زيادة التأثير في المتلقي وتأكيد المعنى، وإعلاء قامته بموازاة النص القرآني المعجز، كما أراد الشاعر بيان مستواه الثقافي واستناده الى نصوص غاية في الدقة والحصافة لتكون مرجعية ثقافية صلبة. ولم يقتصر الشعراء على النص القرآني وحده بل يستحضر الشاعر - أحيانا - نصوصا دينية غير إسلامية سواء من الإنجيل أو التوراة، وهو في النهاية كلام الله لا سيما ما ورد عن هذه النصوص في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

والشاعر الزيودي شأنه شأن كثير من الشعراء اتكأ على هذه النصوص، وأفاد منها كثيرا لتعميق رؤيته للحدث أو الصورة الشعرية، وتكثيف الرمز والارتقاء به، وتأكيد ما سعى إليه من نصوصه الشعرية وهي كثيرة.

لقد أجاد الزيودي باستخدام هذه النصوص، متجاوزا بذلك معنى الاقتباس والتضمين ليصل إلى حالة التوظيف الفني الذي جاء فاعلا في النص الجديد، وهو لا يكتفي بالنقل النصي، بل أحيانا يتعالق بالنص القرآني من حيث المضمون أو الرمز أو الحادث التاريخي أو الشخصية أو المفردة بعينها، وهو بذلك يحقق مستويات مختلفة من التناص تخدم النص الجديد، وتعلي من شأنه، وتجعل حضوره طاغيا متألقا.

يستحضر الزيودي النص القرآني الغائب بصورة جميلة ومبتكرة، إذ يعكس المراد في الآية الكريمة الواردة في سورة الرحمن:" وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام"، (الرحمن: ٢٤). فإذا كانت السفن في الآية الكريمة رمزاً للخير، فقد جاءت عند الشاعر بمعنى الشر. يقول شاعرنا: (الزيودي، ٢٠٠٢، ص: ٢٣٤).

لك ما تشاء ولي غدي
ولك الجواري المنشآت ولي على

أطرافها ... حلم ندي
هذا الذي أطلقت جلاديك في
ساحته زمرا تروح وتغتدي

وهي إشارة إلى أساطيل الأعداء التي هاجمت الوطن العربي، لنهب خيراته تحت أسماء وذرائع شتى، فقد كانت هذه السفن وبالا على الأمة.

ووظّف الزيودي الموروث الديني من خلال استحضار البنى القرآنية في قوله تعالى: «وجاء ربك والملك صفا صفا»،(الفجر: ٢٢) عندما قال: (الزيودي، ٢٠٠٢، ص: ٢٨٥-٢٨٧).

ما بال «إربد» لا تجاوب رغم طول البعد إلفا
أي والذي اصطف الملائك عنده صفا فصفّا
ما زادني إلا انقيادا للهوى شيبي وضعفا

فالشاعر يناص القَسَم بالقَسَم الإلهي في السورة القرآنية، وهو استدعاء للقرآن الكريم يزيد الصورة صدقا وعمقا.

كما يستدعي الزيودي النص القرآني عند قوله: (الزيودي، ٢٠٠٢، ص: ٢٨٠).

سلام على دمه حين مات
سلام على وجهه حين يبعثُ حيا
فيا زكريا ...
إذا أمحل الزرع لا تخذل الحقل يا زكريا
وإن شحّ غيث السماء فكن يا بني سخيا

لقد أحال النص السابق إلى قوله تعالى: «والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا»، (مريم: ٣٣). وفي ذلك إشارة إلى حمدان الذي كثيرا ما يستخدمه الشاعر رمزا لإنسان الوطن الطيب، ولكنه لجأ إلى حذف كلمة من النص القرآني «يوم أبعث حيا»، وهذا توظيف داعم للشاعر؛ إذ أبقى حمدان ميتا، ولم يبعثه بعد على الرغم من صفاته النبيلة التي جسّدها سيدنا عيسى عليه السلام.

ويقول الزيودي في قصيدة «طواف المغني»:(الزيودي، ٢٠٠٢، ص: ١٤٤).

ولكنني حين آوي لكهفك يا أيها الشعر
يا أيها الكاهن الوثني العتيق
أرى في القصائد مملكتي

وهذا تعالق مع النص القرآني في قوله تعالى: «فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا» (الكهف: ١٦)، إذ تتشابه حالة هؤلاء الفتية الذين أووا إلى كهفهم هربا بدينهم، فإن الشاعر يهرب إلى كهفه على سبيل المجاز فراراً بمبادئه، ورفضه الواقع المعيش، والفساد الذي يحيط بالمجتمع، وكلاهما فرار من الظلم والحفاظ على المبدأ والحق.

وفي قصيدة «يا حادي العيس» يقول الشاعر: (الزيودي، ٢٠٠٢، ص: ٢٢٤).

كانت فلسطين يوما طينة وغدت لما نفخنا بها أرواحنا وطنا

وتظهر في البيت الشعري المرجعية القرآنية، واستحضار الغائب مستندا إلى قوله تعالى «فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين» (الحجر: ٢٩)، والتعالق مع النص القرآني في قوله تعالى: «ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا»، (التحريم: ١٢). وهذا المعنى إشارة إلى الوحدة بين الضفتين عام ١٩٥٠(الدروع، ٢٠٠٧، ص: ١٤٥)، وأثر النفخ في إعطاء الحياة كالنار التي تنفخ فيها فتعطي نارها ولهبها خيراً للسائل، وهو المعنى نفسه الذي يشير إليه الزيودي في قصيدة "طواف المغني": (الزيودي، ٢٠٠٢، ص: ١٢٨).

وأنفخ فيما تبقى من الجمر في نار أمي

ويستدعي الشاعر قصة سيدنا صالح مع قومه عندما قتلوا الناقة، يقول: (الزيودي، ٢٠٠٢، ص: ٢٧٩-٢٨٠).

إن أرض فلسطين من أول الدهر شامخة
عقرناك يا ناقة الله فانتظري الفارس العربي الذي
سيجئ وتخضرّ أرضك حين يجئ، ويأخذ من غاصبيك
مفاتيحها، ويعانق أبوابها

وهي تتعالق مع الآية القرآنية التي تشير إلى قصة النبي صالح مع قومه عندما قتلوا الناقة، ولم يصدقوه: «فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها»، (الشمس: ١٤)، والشاعر يشير إلى قضية التآمر على فلسطين في معادل موضوعي، كما فعل قوم صالح عليه السلام فتآمروا عليه وقتلوا الناقة. كما يعيد الشاعر قصة سيدنا عمر بن الخطاب الذي فتح القدس، وسيأتي من يحذو حذوه، ويقبل أرض بيت المقدس من جديد في إشارة تناصية لما استلم المفاتيح من بطريرك بيت المقدس.

ويتابع الزيودي في قصيدة «حمدان» استدعاء الحديث النبوي الشريف: «يأتي عليكم زمان القابض على دينه، كالقابض على الجمر»، فيقول الشاعر في إشارة إلى الشهيد «حمدان» الذي قضى ليبعث غيره وليعيش الوطن حرّا: (الزيودي، ٢٠٠٢، ص: ٢٨٠-٢٨١).

ويا زكريا سيأتي زمان
يكون به القابضون على الأرض
كالقابضين على الجمر
فاقبض عليه وسوف يصير على يدك الجمر زهرا
نديا
سلام على دمه حين مات
سلام على وجهه حين يبعث حيا
ويا رب ما عاد في القلب نبض يتم القصيدة
قد مسني العي. فاحلل إذن عقدة من لساني

وهذه التناصات إعلاء لشأن الشهادة والشهيد الذي يدافع عن وطنه، فترفع روحه إلى السماء، وقد أكثر استحضار صورة سيدنا عيسى عند ذكر الموت والحياة إشارة إلى معجزات الله عندما نفخ من روحه في مريم ابنة عمران عليهما السلام، وهذا تعالق مع الآية الكريمة: «وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا»، (مريم: ١٥).

وقد وظّف الشاعر صورة المسيح عليه السلام للدلالة على المعاناة والسلام الذي آمن به المسيح عليه السلام.

واستحضر الشاعر النص الغائب أو التعالق القرآني كثيراً في قصائده، يقول: (الزيودي، ٢٠٠٢، ص: ٢٧٤).

وقدت (زليخة) من دبر
كل قمصاننا، والعزيز ابتلانا
لنا وطن طيب وزرعنا

على أرضه قمحنا وصبانا
وقد تناغمت هذه الأبيات مع الآية القرآنية الكريمة: «وإن كان قميصه قُدّ من دبر فكذبت وهو من الصادقين»، (يوسف: ٢٧). وهنا يوظّف الشاعر قضايا الظلم والشر التي تحيط بالإنسان، وهي معاناة يرزح تحتها الإنسان في صراعه مع الشر والظلم، وفي المقابل هذا الإنسان الطيب النبيل، ومن خلال استحضار صورة "زليخة" زوج العزيز، عندما راودت سيدنا يوسف عن نفسه، فهنا تلميح إلى البنى القرآنية دون تصريح مباشر، وهذا الإنسان رمز إليه الشاعر بشخصية (حمدان) الذي يحضر دائما في قصائد الزيودي، وهي شخصية شعبية رامزة تعيش بيننا، وتضحي بكل شيء من أجل الوطن، يقول: (الزيودي، ٢٠٠٢، ص: ٢٧٨).

وحمدان أغنية من أغاني الرعاة
يحب الغناء كثيراً فيمتزج الدمع بالكلمات
ولا ينحني نخله للغزاة
يحب البلاد التي يتعرج في حضنها النيلُ
أو يتوضأ فرسانها بالفرات
وكانت فلسطين فاتحة للغناء وفاتحة للصلاة

فهذه الشخصيات الطيبة على امتداد الوطن العربي من النيل إلى الفرات، تشعر بالضيم والظلم، كما حدث مع سيدنا يوسف عليه السلام.

ويعلي الزيودي قيمة الشهيد والشهادة (حمدان) الذي يخضب دمه زيتون فلسطين، يقول: (الزيودي، ٢٠٠٢، ص: ٢٧٣).

ما فيه زيتونةٌ لم يخضب جدائلها
عبقٌ من دم الشهداء وطيب
ألا أيها الكافرون لكم دينكم
وله دينه
ولا ينحني القلب عن دينه أو يتوب

وهنا يتناص مع سورة "الكافرون" في إصراره على الشهادة من أجل الوطن، كما إصرار المسلم على الإيمان، ولو لم يؤمن الآخرون: "قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون "(الكافرون: ١)، وقد استخدم الزيودي الحذف في الإشارة إلى الآية القرآنية الكريمة.

وهؤلاء الناس طيبون، وهم يضحون من أجل الوطن، ويتمسكون بالفضيلة والأخلاق الطيبة، يقول: (الزيودي، ٢٠٠٢، ص: ٢٧٣).

صعاليك لكننا طيبون
نذوب هوى ونذوب حنانا

كما وظّف الزيودي كغيره من الشعراء شخصية المسيح عليه السلام، وجاء حضوره واضحاً في الأدب العربي شعره و نثره، إذ إن المسيح عليه السلام معجزة من معجزات الله سبحانه وتعالى، وكذلك قصة مريم العذراء عليها السلام، يقول: (الزيودي، ٢٠٠٢، ص: ٢٨٠).

سلام على دمه حين مات ...
سلام على وجهه حين يبعث حيا ...
فيا زكريا ...
إذا أمحل الزرع لا تخذل الحقل يا زكريا
وإذا شحّ غيث السماء فكن يا بني سخيا

وهذا تعالق مع الآية القرآنية: «وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعثُ حيا»، (مريم: ١٥).

وأشار الشاعر كذلك إلى رموز من الديانة المسيحية. يقول في قصيدة «يا قدس»: (الزيودي، ٢٠٠٢، ص: ١١٠).

وكأنما مسح المسيح بكفه وجهي فغاب الهّم والإعياءُ
وتبسم الأقصى وجفف دمعه عن عارضيه ورقت العذراءُ

وهو يستحضر النص القرآني: «إني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله»، (آل عمران: ٤٩)، فعكس معجزات المسيح عليه السلام، وطلب أن يعود المسيح ليمسح الدمع عن القدس، و يعيد البسمة إليها بعد ظلم الطغاة، ودنس الاحتلال.

كما استدعى الشاعر الرموز الدينية المسيحية مثل: الصليب والكنائس والأجراس، لتعبر عن المعاناة التي يعانيها الشاعر بما يجعله يعتزل هذا المجتمع، ويعيش وحيداً نتيجة إحساسه بالظلم والقهر الذي يصيبه، ويصيب الفقراء من بني وطنه، واحتلال الأجنبي الذي يسلب الخير من الوطن العربي، يقول: (الزيودي، ٢٠٠٢، ص: ٣١).

فالنفط ينجب كل يوم ألف سالومي
ويصلبني على ألواح يحيى المعمدان
ويظل يصلبني على ألواح يحيى المعمدان
ويظل يصلبني على ألواح يحيى المعمدان

وهنا يستدعي الشاعر النص الغائب لقصة سالومي، وهي المرأة اللعوب التي تآمرت على يوحنا المعمدان (يحيى عليه السلام)، فطلبت من حاكم المدينة رأسه، (أبو صبيح، ١٩٩٠، ص: ٩٢). وهنا أبرز الشاعر الخطر اليهودي المتنامي على الأرض، حيث نهب اليهود خيرات فلسطين، وشردوا أهلها الأصليين، وهوّدوا أرضها. والشاعر يستحضر أكثر من رمز ديني في آن واحد لا يفرق بين هذه الديانات السماوية، (الدروع، ٢٠٠٧، ص: ١٥٢).

التعالق التاريخي في شعر الزيودي

يشكل التاريخ بما يحتويه من عناصر المكان والزمان والأشخاص مرجعيات مهمة تؤطر ثقافة الشاعر ورؤاه إزاء ما يحدث حوله من أحداث. وبذلك، فإنها تشكل معادلاً موضوعيًا يستنهض بصوره المختلفة شعوراً غائراً في ضمير الشاعر ووعيه.

ولذلك، فإن التعالق النصي أو التناصات التاريخية تعكس عمق انتماء المبدع إلى محيطه الثقافي وارتباطه به ارتباطاً عضويًا، وتعمل على إثارة شعور الأمة واستحضار رموزها التاريخية التي أدت دوراً مهمًا في حركة التاريخ العربي القديم والحديث.

يعد الزيودي واحداً من الشعراء الذين اتكأوا واستحضروا هذه الرموز، لتكون شاهداً على العصر الذي نعيش فيه، وما تواجهه الأمة من انكسارات ومعاناة على امتداد الوطن العربي من الماء إلى الماء، مروراً بقضية العرب والمسلمين الأولى وهي احتلال فلسطين وبيت المقدس في العصر الحديث. فقد كانت هذه الأرض شاهداً على قوة الأمة ومنعتها، وقد شهدت حروباً للذود عن حياض الوطن، وتزخر الأرض الأردنية بشواهد كثيرة من رموز التاريخ العربي الذين لهم بصمات واضحة في تاريخ الأمة، فنجد تناصات تاريخية

كثيرة أو تعالقات في شعر الزيودي لتدفع الذاكرة العربية نحو المجد والتحرر من المستعمر الجديد؛ ولذلك يستحضر الزيودي، شأنه شأن كثير من الشعراء، رموزاً تاريخية سجلت حضوراً في التاريخ العربي قبل الإسلام وبعده ليعمق فكرة ما في القصيدة، ولتعكس عمق رؤيته الثقافية عند تناول هذه الرموز. عنترة مثلا يشكل حضوراً في التاريخ العربي يذكر بالبطولة والشجاعة، فقد كان من رموز القبيلة، يدفع ظلم الأعداء عنها، ويقاتل في سبيلها، وقد استدعى الزيودي عنترة في قصيدة (الشيخ يحلم بالمطر)، إذ يقول: (الزيودي، ٢٠٠٢، ص: ٣٠-٣١).

دقي على بابي إذا نامت عيون «الدنجوان»

دقي لتعطي عنتر العبسي
سيفاً أو حصانَ
ما زال يصرخ في البراري
يا عبل أدفنت التشرد
ما احتوى جرحي مكان
يا عبلُ ،
أدمنت العذاب و مهجتي صارت دخان
«يا عبلُ رسمُ الدار لم يتكلم حتى تكلم كالأصم الأعجمي»
و أنا أريده بلسماً للجرح
في زمن السكاكين التي شربت دمي
فلتملأي روحي حباً
ولتملأي نبضات قلبي عنفوان

فالزيودي يتناص بصورة جليلة مع قصيدة عنترة: (عنترة، ١٩٩٧، ص: ٣٤١)

أعياكَ رسمُ الدار لم يتكلم حتى تكلم كالأصم الأعجمي

فالشاعر يستحضر شخصية عنترة وحبيبته عبلة التي أحبها، ووقف على الأطلال يبكيها. والشاعر يقف على أطلال حبيبته يتذكر الديار والأحباب، ويقارن حاله بحال عنترة الذي ناضل من أجل محبوبته على الرغم من الفوارق الاجتماعية الكبيرة بينهما.

وفي قصيدة «خرابيش للمرأة و الوطن»، يستحضر الزيودي عنترة وقيساً، ليكونا معادلين موضوعيين لحالة الحب التي يعيشها الشاعر مع محبوبته التي يعاني فيها من الحرمان والبعد من الفراق، يقول: (الزيودي، ٢٠٠٢، ص: ٨٥-٨٦).

إياك إياك
حب النساء،
يشرد، يلدغ
أذكر أنا رسمنا لقيس حصانا
أذكر أنك أعطيت عنتر سيفاً
لتحرير عبلة

كما يستحضر الزيودي صورة «قيصر» الأمبراطور الذي سيطر على الشعوب الضعيفة في زمنه، واستباح الدماء والأعراض والأوطان، وهو معادل موضوعي لما يعانيه الشاعر من الظلم والحرمان مع محبوبته التي منعت عنه، فهناك الأقوى والأغنى الذي يستولي على كل شيء حتى الحب. يقول الشاعر في قصيدة «خرابيش للمرأة والوطن»: (الزيودي، ٢٠٠٢، ص: ٨٤-٨٥).

فكنت أخافك حين أحبك
كانوا يقولون
كل الطيور متاع لقيصر
وكل النساء، الرجال
متاعٌ لقيصر
تجرع كؤوس الأسى في هواك
تجرع
كل الطيور،
الحقول،
العصافير،
أشياء قيصر
بها وحده يتمتع

وهنا يتناص الشاعر مع شخصية قيصر الظالمة التي سيطرت على الشعوب حتى أصبح كل شيء تحت أمره وطوع إشارته، فالحبيب لا يتمتع بحب الحبيبة، وكل شيء لقيصر، كل شيء للقوي الذي يملك القرار، فلا مكان للضعفاء. وكأن حبيباً يريد أن يسقط هذه الشخصية التاريخية التي تصور حب الامتلاك على حالته، فهناك قيصر في كل زمان و مكان. وهذا قيصر الراهن يصادر حب حبيبته فيحرمه منه، فلا يملك ما يدافع به عن نفسه وعن حبه، ذلك هو ظلم قيصر، وهذا هو زمن قيصر.

ويستدعي الشاعر أيضاً شخصية خالد بن الوليد، ذلك البطل الذي قاتل الروم في مؤتة واليرموك، وقد أبلى بلاءً حسناً، لا سيما أن الأمة الآن تعاني ما تعاني من احتلال البلاد وقهر العباد من الروم الجدد. يقول: (الزيودي، ٢٠٠٢، ص: ١١١-١١٢).

لا تطلبيني نجدة فكتائبي مهزومةٌ، و جحافلي خرساءُ
لا خالد، شق الغبار حصانهُ لتنام تحت ردائه الفيحاءُ
كلا ولا ابن العاص يسحب جيشه نشوان ، يزهو في يديه لواء

وهذا إدانة للراهن العربي الذي يحتل فيه بيت المقدس، ولا نجد من يقوم للانتصار له. فقد استحضر الشاعر شخصيتي خالد بن الوليد وعمرو بن العاص، ليقوما بالدفاع عن حمى الوطن المستباح، وبخاصة في فلسطين والقدس، ليقوما بالدفاع عن عروبتها واستردادها من اليهود، وهي مقارنة واضحة بين ما حدث في الماضي، وبين ما يحدث الآن. فهذه الرموز هي التي تستطيع أن تقوم بما عجز عنه القادة الآن، ولعل «داحس و الغبراء»، هذه الحرب التي استمرت أربعين سنة عادت من جديد، يقول: (الزيودي، ٢٠٠٢، ص: ١١٢).

عادت على أرض الجزيرة داحسٌ و تبخترت في نخلها الغبراء
والنفط يقتل كل يوم عاشقاً حبًّا فيصلب جسمه الأعداء

واستحضار هذا النص الغائب من أيام العرب «داحس و الغبراء» معادل موضوعي لما يدور بين العرب من نزاع وشقاق على أسباب تافهة. ومما زاد هذا الوضع سوءاً، وجود البترول الذي يسبب القتل للعرب، عندما تأتي جيوش الأعداء لتغزو بلاد العرب، لنهب

الخيرات وتخريب البلاد بالفتنة والحروب، وهو استدعاء رامز ظاهر، أدى وظيفته خير أداء.

ويستحضر الشاعر مجموعة من التناصات في قصيدة واحدة، لتزيد الأثر النفسي على المتلقي، ابتداءً بتناص من القرآن الكريم، واستحضار رموز تاريخية مهمة، كانت لها آثارها المهمة في حركة التاريخ العربي والإسلامي على أرض الشام وفلسطين، حتى على تخوم الروم على يدي طارق بن زياد وصلاح الدين وضرار بن الأزور وشرحبيل بن حسنة، تلك الشخصيات التاريخية التي ما زالت الأمة تفزع إليها عندما تدلهم الخطوب، في هذا الزمن المتردي الذي تعيشه الأمة على وقع احتلال الأرض التي حررها هؤلاء الأبطال. ولعل الزيودي يدين هذا الواقع، ويستنهض الأمة، ليكون لها درساً من تلك الرموز. يقول: (الزيودي، ٢٠٠٢، ص: ٢٢٥-٢٢٧).

وحين استوى
لكن مصر التي لا تنام على ضيم إخوتها
قذفتهم إلى الشام فاحترقوا فوق رمل فلسطين
وما كان ذلك الصهيل صهيلاً لمهرة طارق
فوق ربى الأطلسي
ولكنه صهيل الدم العربي
صهيل دم الفاتحين
ولكنهم حين صاحت فلسطين:
شبّوا عن الطوق شبّوا رجالا
تباركت يا من سقيت عظام «ضرار»
وأيقظت في الأرض جرح «شرحبيل» حتى يصب على
طبريا تباركت أذْنٌ بهم ينفرون خفافاً لنصرتها وثقالا.

ونلاحظ أن الشاعر يحشد تناصات كثيرة متلاحقة في هذه القصيدة، يبدأ بتناص من القرآن الكريم، ويختم بتناص من القرآن الكريم، ويستحضر صور وبطولات طارق وصلاح الدين في حطين على أرض فلسطين، وشرحبيل وضرار بن الأزور الذين سقوا بدمائهم أرض فلسطين، وهو يعتب على هذه الأمة، إضاعة هذه الدماء والسكوت على الضيم، ضياع ما أنجزه هؤلاء الشهداء، إنه استنهاض لهذه الرموز لتكون حاضرة في الراهن العربي المأزوم، حيث الاحتلال جاثم على أرض فلسطين، ولعل عنوان القصيدة (شهداء) خير دليل على ذلك.

كما يستحضر الشاعر شخصية البطل الشهيد عز الدين القسام، ليكون شاهدا على ضعف هذه الامة، ولكي يستنهضها لتحرير فلسطين من المحتل الغاصب، يقول: (الزيودي، ٢٠٠٢، ص: ٢٤٠-٢٤١).

عفواً لكم ... عفواً
يا روح عز الدين يا دمه الزكي
يا طالعين من الجراح
ومن ضلوع الأرض
يا وهج الغد العربي
ليست فلسطين أرضاً للذي يحيا كما يهوى
لكنها وطن الذي يغنى كما تهوى
دباباتهم باتت تدوس أصابع الأطفال
وهي قوية
لكن نبض قلوبكم ... أقوى
عفواً لكم ... يا طالعين من الضحى
عفوا...

فهذه القصيدة هجائية، تدين الوضع العربي الراهن الذي لا يفعل شيئا، بل يستكين لذل الأعداء.

وفي قصيدة «الفتى خليل يقيم صلاة القسام»، يستدعي الشاعر مرة ثانية عزالدين القسام الذي تململ في قبره من حال الأمة الذي يدعو للبكاء، وهذا الزمان العربي الرديء، يقول: (الزيودي، ٢٠٠٢، ص: ٢٣٠-٢٣٢).

فتململ الشهداء في صمت القبور
ومن بعيد كان عزالدين يهتف
من بعيد:
يا حارس الزيتون من دنس الطغاه
لك هذه الأرض التي آوت جميع الأنبياء
وآوت الشهداء
فكن لها يا حارس الزيتون
«اجعل عشبها نارا على خيل الغزاه»

فهذا تناص تاريخي، واستدعاء لرموز تاريخية، رسمت علامات بارزة في تاريخ هذه الأمة قديمها وحديثها. فهل تنجب هذه الأرض أبطالاً يعيدون صياغة هذا التاريخ، كما كتبه القدماء بأحرف من نور، وسقوا بدمائهم ثرى فلسطين على امتداد التاريخ منذ خالد بن الوليد حتى عزالدين القسام؟

النص الغائب أو التناص الشعري

يعد النص الغائب أو التناص الشعري من أبرز صور ارتباط الأديب بعامة و الشاعر بخاصة بالتراث الأدبي القديم . فقد اتكأ معظم الشعراء على هذا التراث العريق ، و نهلوا من معينه الخصب ليشكلوا مرجعيات وأطراً ثقافية تؤكد مراميهم من هذه الأحداث أو الشخصيات التاريخية أو الابداعية التي احتلت مكانة بارزة في التاريخ الشعري العربي. ولذلك، نجد كثيراً حضور الشعراء الجاهليين ومن بعدهم شعراء التاريخ الإسلامي شهداء على العصر الذي يعيش فيه الآن. ولعل ما يستدعي هذه المرجعيات الانكسارات الكبيرة الفردية والجماعية التي تصيب الأمة، أو في حالات الحب والوحدة والأسى واللوعة والشوق والهجر والجحود، أو النبل والشهامة والرجولة والمروءة.

لذلك، لا يستطيع المبدع الانقطاع عن هذا التراث الحضاري، الذي شكّل موروثاً ثريًا يزيد إبداعه ألقاً وسحراً، إذ شكلت هذه الأطر والمرجعيات رؤية جديدة للشاعر المعاصر، تقوي الحجة، وتوضح الصورة، وتبين قدرة هذا الشاعر على الإتيان بالجديد الذي قد يتجاوز ما سطره المبدعون القدامى نظماً ونثرا، صورة وبياناً.

وقد تأتي هذه النصوص الغائبة، إما تأكيدا لتلك المعاني، وإما دعوة للشخوص التاريخية، لتنقذ الراهن المصاب بالعطب، كما نشاهده على امتداد الأرض العربية، فكان حضور امرئ القيس أو الشنفرى أو المتنبي أو شوقي أو عرار أو غيرهم. وقد تجاوزت هذه التعالقات المعنى البسيط لتصل إلى حالة الاندغام والتفرد، وإبراز رؤية

جديدة متألقة، وصورة جميلة مجلية.

يعد حبيب الزيودي من الشعراء الأردنيين الذين خرجوا على الواقع المعيش وتمردوا على الراهن، فقد عانى الزيودي كثيراً، وعاش الحرمان وضيق ذات اليد، وشاهد كيف يصل المنافقون والمتملقون، وعرف بذكائه كيف استطاع نفر من الناس الوصول إلى ما لا يستحقون، ولمس عجز الأمة وعقم الحياة. ولذلك، لا غرو أن نجد حبيباً يستحضر نصوصاً للشنفرى الشاعر الجاهلي الصعلوك، الذي خرج على نظام القبيلة والجماعة، كما أن وضعه يشبه وضع المتنبي الذي كثر حساده عندما لمع نجمه شاعراً ومبدعاً، فترك الديار وهجر الأوطان، ولعل العارفين بالشاعر يدركون حضور الشاعر الأردني مصطفى وهبي التل (عرار) على تفكير وإبداع وحياة الزيودي الشاعر والإنسان. حتى تصور البعض أن حبيباً صورة جديدة للشاعر عرار بكل أبعاده الشعرية والشخصية. ولذلك ، فقد اتكأ الزيودي كثيراً على نصوص أو أفكار قالها عرار في الوطن و الإنسان، فظهر متحرراً رافضاً خارجاً على القانون، وأعراف المجتمع، يعيش الحياة كما يريدها هو، لا كما يجب أن تكون. ولذا، فقد شكلت ثقافة الشاعر من شعرائنا القدامى مرجعيات تعالقت وتناصت مع الشاعر أو المبدع، وهذه الإسقاطات على شعره تغنيه وتكسبه ألقاً على ألق، وإبداعاً مجلياً راقياً.

ويعد المكان من العناصر الدرامية في بنية القصيدة عند الزيودي. إذ تجده يقف عند المكان على امتداد الوطن العربي، وهذا يعكس دون شك ارتباطه بهذا الوطن وحبه له؛ إذ يتماهى الإنسان بالمكان. وهنا نلحظ حبيباً يتلمس خطى امرئ القيس في وقوفه على أطلال الحبيبة، يستذكر أيام الصبا والحب. يقول: (الزيودي، ٢٠٠٢، ص: ١٧).

قفا على النبع، لي بالنبع حاجاتٌ حلت على القلب من ذكراه علاتُ
مسافر «ما احتواني شارع ، تعبٌ » تناهشتني بعمان المحطاتُ

وهنا يستحضر الزيودي، ويتناص مع امرئ القيس في الوقوف على الأطلال، وتذكر الحبيبة عندما تركت الديار. يقول امرؤ القيس: (الزوزني: ١٩٩٣، ص: ١٣).

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فالشاعر تشّرب هذه الأفكار، وأعاد استخدامها بقالب جديد يتواءم مع ما ذهب إليه من الوقوف على النبع ومناجاة الحبيبة التي رحلت.

إن قصيدة (نشيد الشنفرى) للشاعر الزيودي تناص واضح، واستدعاء ساطع، ومعادل موضوعي لحال الشاعر؛ إذ إن الشنفرى والزيودي يعيشان حياة الصعلكة والتمرد والتطلع إلى الحرية، فاعتزلا المجتمع، وهام كل منهما على طريقته. وقد وحّد الشاعر بين الشنفري والذئب، إذ إن كلًّا منهما يأبى الضيم ويبيت على الطوى والجوع في مقابل حريته وكرامته وإنصاف الفقير، وحالة الفقر حاضرة في حياة الشاعر الزيودي، ولذلك فإحساسه حقيقي إزاء هذه الحالة الإنسانية التي يعاني منها أبناء شعبه. يقول الشاعر: (الزيودي، ٢٠٠٢، ص: ٢٨٩-٢٩٠).

يبيت على الطوى ذئبا ويعوي أبيًّا في منافيها طليقا
إذا ما اصطاد يبحث عن رفيق ويحزن حين لا يجد الرفيقا
يفتش في الطريق على فقير فإن لم يلق ... أطعمها الطريقا !
ولخص عمره شعراً وفقراً وزادهما الجنونُ له بريقا
ويشرب ماءها كدراً بعز على ظمأ ويحسبه الرحيقا

فهو الذي ينتصر للفقير ويشاركه طعامه وزاده، وهو الذي يعتز بكرامته وحريته، وهو يشرب عكر الماء ويحسبه عسلاً إن كان حرًّا ذا كرامة ومروءة. وقد عكست حالته النفسية رمز «الذئب» الذي جاء في قصيدة «نشيد الصحراء» للشنفرى.

كما يستحضر الزيودي شخصيات تاريخية في شعره، لتعميق الحالة الذاتية التي يعيشها مع من يحب، ففي قصيدة «الشيخ يحلم بالبحر»، يستحضر الزيودي صورة عبلة وعنترة، وحالة الحب المزوج بالشموخ والشجاعة والمروءة. يقول: (الزيودي، ٢٠٠٢، ص: ٣١).

يا عبلُ رسم الدار لم يتكلم حتى تكلم كالأصم الأعجمي
وأنا أريدك بلسماً للجرح في زمن الساعين التي شربت دمي
فلتملأي روحي صبا ولتملأي نبضات قلبي عنفوان

وفي قصيدة (المتنبي)، يستحضر الزيودي قصة المتنبي الشاعر العربي في رحلته إلى مصر، حيث كثر الحساد والمتملقون في بلاط سيف الدولة، فآثر أبو الطيب الغربة والابتعاد عن هؤلاء المتملقين، ولعل هذا التعالق بين القصيدتين يريد منه الزيودي إسقاط تلك الحالة على حالته الشخصية، وتصوير هذه الآفة في المجتمع، فآثر الفرار والغربة والانعزال. يقول: (الزيودي، ٢٠٠٢، ص: ٣٤٦).

وقبل الدخول على القصر
نقح حارس كافور أبياتهم قائلا:
نحن لا نقبل الشعر مفتعلاً أو معادا
كثفوا، أيها الشعراء قصائدكم
في مديح أبي المسك
لا تسرفوا،
واكتفوا، بالمطالع عند القراءة

فهذه القصة معادل موضوعي للشاعر، إذ يكثر الحساد والمتزلفون على باب السلطان، يريدون عطاياه ورضاه، وهو يعرف أنهم يكذبون وينافقون، ولذلك اعتزلهم وآثر الغربة، يقول: (الزيودي، ٢٠٠٢، ص: ٣٤٧).

قال ثالثهم يتلجلج
ما أبخل النيل أنت السخي يداً
والطويل نجاداً
ويعرف قصائدهم
لن تزيد «أبا المسك» إلا سوادا

ونلاحظ أن معنى الكرم والجود يتناص ويتعالق مع قول الخنساء في مدح أخيها صخر «: طويل النجاد، رفيع العماد، ساد عشيرته أمردا»، وهو ينقل فكرة الكرم والجود والتضحية من أجل الحمى والوطن.

وفي قصيدة «مرثية فراس»، في إشارة إلى الطيار الشهيد فراس العجلوني، يستحضر الزيودي الفضاء الشعري للمتنبي، ويسبغ تلك الروح على الراهن العربي، وما نتج عنه من احتلال للأرض العربية في فلسطين. فقد استحضر الشاعر أجواء قصيدة المتنبي

من الخيل والغبار والمعارك، وأسقطه على بطولة فراس العجلوني على أرض فلسطين، وهذا يعكس امتصاص النص الراهن للنصوص الغائبة، ويصيرها منسجمة مع مقاصد فضاءاته الراهنة، (مفتاح، ١٩٩٤، ص: ١٢١). إذ ليس بالضرورة أن يتناص الشاعر مع كلمات بعينها، بل إنه يستلهم الجو العام، ويبني عليه الراهن. يقول شاعرنا: (الزيودي، ٢٠٠٢، ص: ١٤٠-١٤١).

أنا يا رفيق جراحي
طريدُ القبيلة ، آوي مع الوحش في البيد
....
وليس وجوه الرجال وجوه الرجال
أرى يا النوافذ خوفاً
وفي الطرقات انكسار
وأقمارنا انطفأت
وسوى الروم في الدار روم
فهل ينفع الكي والداء بين الضلوع
وللروم في الدار دار
فأعدوا لها الليل والخيل والرمل والطفل والكهل
....
ولا تتركوا أرضكم للتتار

وتلك هي روح أبي الطيب وفضاءاته الشعرية، تجود في سماء القصيدة الراهنة: الخيل والليل والبيداء ، والسيف، والروم، والتتار والأعداء، ولكنهم روم جدد، احتلال جديد من نوع جديد على أرض فلسطين، فمن روح قصيدة أبي الطيب التي يقول فيها: (البرقوقي، ١٩٨٦، ص: ٢٧٧/٣)

وسوى الروم خلف ظهرك روم فعلى أي جانبيك تميل

فهذا التعالق واضح واستدعاء لروح قصيدة أبي الطيب ليسبغ على الراهن ، فالروم هم الروم، وإن اختلفت أشكالهم أو أزمانهم، فالهدف هو هو، استباحة الحمى واحتلال الدار، وانتهاك الكرامة؛ إنها إدانة للواقع المر. فأين أبو الطيب ليكون شاهداً على العصر؟

كما نلمح حضور النص الغائب مع قصيدة " أنشودة المطر" لبدر شاكر السياب عند حديثهما عن العيون. فقد استحضر الزيودي تلك القصيدة المشهورة، فكانت إطاراً ومرجعية له في هذا المقام. يقول: (الزيودي، ٢٠٠٢، ص: ٣٥٩).

حتى أقنع الندامى
أن النبيذ مرّ بالعيون السود
قبل أن يمر بالعنب
أكتب عن عينيك فالكتابة
حين تكون عنهما تصير غابة
تأوي العصافير إلى أشجارها

وهذا تناص مع قول بدر شاكر السياب: (السياب، ١٩٩٦، ص: ١٤٢)

عيناك غابتا نخيل ساعة السحر
أو شرفتان راح ينأى عنهما القمر

وقد عبّر الزيودي عن تأثره بالسياب وشعره في لقاءاته المختلفة، (الدروع، ٢٠٠٧، ص: ١٦٥).

كما نلمح تعالقات كثيرة للشاعر الزيودي من الشعر العربي القديم والمعاصر، وكذلك الموروث الشعبي المحكي والألفاظ الدارجة المحلية في بيئاتها المختلفة.

وحضور المرأة وجمالها .... بارز في شعر الزيودي، ولذلك يستحضر نزار قباني في قصيدة «أنوثة واحدة»، ولكن لكل طريقته في التعالق. يقول شاعرنا: (الزيودي، ٢٠٠٢، ص: ٣٢٥).

قال الراعي وهو يعد إناث البرية:
الشجرة أنثى
الشبابة أنثى
عين الماء
الزهرة، والدرب إلى المرعى
والشمس
لا يوجد ذكر في البرية باستثناء التيس.

وهذه العناصر كلها من بيئة الزيودي التي عاش فيها وتربى في منطقة ريفية زراعية جميلة. ونلمح قصيدة نزار في هذا الفضاء، إذ يقول: (قباني، ١٩٩٣، ص: ٢٨٧).

أريد أنثى
لأن الحضارة أنثى
لأن القصيدة أنثى
وسنبلة القمح أنثى

وهذا تناص واضح بين النصين، مع اختلاف البيئة والهدف الذي سعى إليه كلا الشاعرين.

ويشكل عرار «مصطفى وهبي التل»، مرجعية أساسية في شعر حبيب الزيودي من حيث الشكل والمضمون، فحبيب تربى على شعر عرار، ويمكن أن نعتبره -بحق- نبتاً جديداً لهذه الشجرة الباسقة. ولذلك نجد التناص يأخذ أبعاداً كثيرة في شعر الزيودي من حيث الشكل والقوالب اللفظية أحياناً، وذكر المكان والوقوف عند الحبيبة، وإن لم يعش عرار طويلاً (وكذلك الزيودي الذي لم يعش طويلاً)، فإن الزيودي امتداد طبيعي له، فعمّق معانيه، وجدد رؤيته الشعرية في الواقع الراهن. ولذلك نلحظ شعر عرار ساطعاً في رؤى حبيب الشعرية، ويمكن أن أزعم أنهما أبناء مدرسة شعرية واحدة.

ونلحظ حضوراً واضحا لعرار في قصيدة " ارتعاشات " للشاعر الزيودي: (الزيودي، ٢٠٠٢، ص: ١٧-٢٠).

أتيته حاملاً في ... راحتي ندمي وفي دمي ، شرشت لليأس غابات
مسافر ... ما احتواني شارع ... تعب تناهشتني بعمان المحطاتُ
يا أردنيات أشلائي مبعثرةٌ فمن تلملمني ... يا أردنياتُ

وهنا نلحظ تناصاً وحضوراً طاغياً إلى نفس عرار الشعري إذ يقول: (التل، ١٩٩٩، ص: ٢٥).

يا أردنيات إن أوديتُ مغتربا فانسجنها بأبي أنتن أكفاني
وقلن للصحب واروا بعض أعظمه في تل إربد أو في سفح شيحان

كما يتوقف الزيودي كثيراً وبصورة لافتة عند المكان الأردني من شماله إلى جنوبه، وهذا ما فعله عرار، إذ يزخر شعره بالمكان الأردني الذي أحبه. يقول: (الزيودي، ٢٠٠٢، ص: ١٨-٢٠).

أتيت يا مأدبا صبا تحرقه في عشق عينك أهداب وقامات
ماذا سأكتب عن عينيك يا وجعي لي في غرامك إنجيل وتوراة

حمام واديك يشدو في مضاربنا فتصبح الأرضُ جذلى والسماوات
لم يبق في الدار لي ركن ولا حجرٌ توزعتني على الريح الولاءات

وأحسب أن حبيباً تشرّب روح عرار الشعرية، حيث نجد عبقها في قصائده، ونلمح دروب عرار تهيم في سماء قصيدة الزيودي، لاسيما في الريف والبادية. يقول: (الزيودي، ٢٠٠٢، ص: ٢٩٩-٣٠٠).

يطاوعنا القلب حين نغني هواه
ويعصي إذا ما أردنا عتابه
أما زالت النارُ موقدةً،
والدلال على الضيف سكابةً
و المضافات مفروشة ألقاً ومهابة
سنكتب عن أهلنا الطيبين
سلاما على وطن الطيبين، سلاما

ولعل الزيودي يتناص مع عرار في بث الحب والشوق لبني عطية الذين أحبهم وأحبوه، وهم رمز الطيبين في هذا الوطن أينما حطت رحاله. يقول عرار: (التل، ١٩٩٩، ص: ٤٢٨).

يا أخت رمّ : كيف رمّ وكيف حال بني عطيه
هل ما تزال هضابهم شُما و ديرتهم عذيه

ولعل تناص الزيودي في هذه الأبيات مع عرار يبرهن لعمق تأثر الزيودي بروح عرار الشعرية واستحضار معانيه، لاسيما أنهما يتشابهان كثيراً في زوايا ومنعطفات كثيرة، لعل أهمها حب التراب الذي عاش كل منهما عليه، وحالة الوجد التي صبغت نفسيهما، والتعلق بالوطن تراباً وإنساناً.

ولا بد للشاعر من أن يحمل تراث الأمة التي ينتمي إليها، والنظر في ثقافة العصر، وبذلك يكون الأديب قادراً على الاغتراف من التراث بالقدر الذي يمكنه من تمثل المعاصرة. فالشاعر أشبه ما يكون بالشجرة الحية التي تضرب بجذورها في الأعماق لتعطي أوراقها النضارة، وتختزن في ثمارها ما فيه نكهة وفائدة، (أبو صبيح، ١٩٩٠، ص: ٢٩)، وهذا ما يعبّر عنه بالتناص أو النص الغائب أو التعالق في المفهوم الحديث.

لقد كانت هذه الدراسة المتواضعة في شعر حبيب الزيودي، لبيان حضور النص الغائب في شعره، وهو ما يعكس رؤية ثقافية واسعة للشاعر، إذ لمسنا حضور النص الديني والتاريخي والشعري في شعره، ولابد للشاعر من مرجعية يتكئ عليها، وقد فعل ذلك شاعرنا، مما زاد في جمال الصورة الشعرية، وقوة الدفقة الشعرية وطولها، كما عكس عمق ثقافة الشاعر وقدرته على محاكاة القامات الشعرية الكبيرة على طول امتداد شعرنا العربي قديمه وحديثه. فإن أصبت فتوفيق من الله تعالى، وإن قصرت فمن نفسي، وحسبي أنني حاولت، ولكل مجتهد نصيب.

والحمدلله.

المصادر والمراجع

١. أبو صبيح، يوسف، ١٩٩٠، المضامين التراثية، في الشعر الأردني المعاصر، منشورات وزارة الثقافة، عمان.
٢. البرقوقي، عبد الرحمن، ١٩٨٦، شرح ديوان المتنبي، دار الكتاب العربي، بيروت.
٣. بنيس، محمد، ١٩٩٠، الشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاته (الشعر المعاصر)، ط١، المغرب.
٤. التل، مصطفى وهبي، ١٩٩٩، عشيات وادي اليابس، ط ١، جمع وتحقيق زياد الزعبي، دار الشروق، عمان.
٥. داغر، شربل، ١٩٩٧، التناص سبيلاً إلى دراسة النص الشعري، مجلة فصول، الهيئة المصرية للكتاب، المجلد السادس عشر، العدد الأول، القاهرة.
٦. الدروع، قاسم، ٢٠٠٧، حبيب الزيودي شاعراً، دار البيروني للنشر والتوزيع، عمان.
٧. الزعبي، أحمد، ٢٠٠٠، التناص نظريًا و تطبيقيًا، ط ٢، عمان، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع.
٨. الزوزني، أبو عبد الله ١٩٩٣، شرح المعلقات السبع، لجنة التحقيق في الدار العالمية.
٩. الزيودي، ٢٠٠٢، حبيب، ديوان ناي الراعي، أمانة عمان الكبرى، عمان، الأردن.
١٠. السياب، بدر شاكر، ١٩٩٦، ديوان أنشودة المطر، ط ١، دار الحياة، مصر.
١١. عنترة العبسي، ١٩٩٧، ديوان عنترة، تحقيق محمد سعيد مولوي، ط ١، مطبعة الكتب الإسلامي، بيروت.
١٢. الغذامي، عبدالله ١٩٨٥، الخطيئة والتكفير، النادي الأدبي الثقافي، ط ١، جدة.
١٣. قباني، نزار، ١٩٩٣، الأعمال الشعرية الكاملة، ط ١٣، منشورات نزار، بيروت.
١٤. كريستيفيا، جوليا، ١٩٩٢، علم النص، ت، فريد الزاهي، دار يوتفال للنشر، ط١، المغرب.
١٥. مفتاح، محمد، ١٩٩٤، تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص، ط٣، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.